

التبيان في تفسير القرآن

(275) قوله تعالى: (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرص المؤمنين على الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا) (84) - آية بلاخلاف - . هذا خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله) خاصة أمره الله أن يقاتل في سبيل الله وحده بنفسه. وقوله: " لا تكلف إلا نفسك ومعناه لا تكلف إلا فعل نفسك، لانه لا ضرر عليك في فعل غيرك فلا تهتم بتخلف المنافقين عن الجهاد فعليهم ضرر ذلك، وليس المراد لا يأمر أحدا بالجهاد. وانما أراد ما قلناه ألا ترى أنه قال " وحرص المؤمنين " على القتال يعني حثهم على الجهاد. وفي ذلك دلالة على أنه لا يجوز أن يؤخذ الله الاطفال بكفر آبائهم ويؤيده قوله: " ولا تزر وازرة وزر أخرى " لان مفهوم هذا الكلام أنه لا يجوز أن تؤخذ بذنب غيرك. والفاء في قوله: " فقاتل في سبيل الله " قيل في معناه قولان: أحدهما - أن يكون جوابا لقوله: (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) (1) هكذا ذكره الزجاج، لانه محمول على المعنى من حيث دل على معنى إن أردت الفوز، فقاتل. الثاني - أن يكون متصلا بقوله: (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله) (2) فقال في سبيل الله. كذا ذكره الزجاج ووجهه لاحظ لك في ترك القتال فتركه، ثم وضع فقاتل موضع فتركه. وقوله: " وحرص المؤمنين " معناه حثهم " على الله أن يكف " قال الحسن، والبلخي، والزجاج: إن (على) من الله واجب ووجه ذلك ان اطماع الكريم انجاز وانما الاطماع تقوية أحد الامرين على الآخر دون قيام الدليل على التكافؤ في الجواز. وخرج (على) في هذا من معنى الشك _____ (1) سورة النساء آية: 74. (2) سورة النساء آية: 75. (*)